خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٢/٨/١٧

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ * مَالكِ يَوْمِ الدِّينِ * إيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَـــوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢٢)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٢)

من أجل أن يجعلنا وارثين لأفضاله ومننه وإنعاماته فقد أمرنا الله تعالى أن نكون عبادا له، أي العباد الذين يعملون بأوامره. لقد تحدثتُ في الخطبة الماضية أيضا حول الموضوع نفسه أن العمل بأوامر الله يُدخل الإنسان في زمرة عباده الحقيقيين. ولهذا الغرض أنزل الله تعالى لنا أوامر عدة يجب علينا أن نسعى للعمل بها لنكون مصداقَ قوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، وليرث المؤمن أفضال الله ويكون عبدا حقيقيا له ﷻ وينال رضاه ويرى مشاهد إجابة أدعيته. من المعلوم أننا نقرأ أوامر الله تعالى في القرآن الكريم ونسمعها، ولكن الله تعالى وضع في فطرة الإنسان أنه يتأثر من النموذج العملي أكثر مما يتأثر بالقراءة والسماع، فتتولد فيه رغبة وشوق للعمل بحسبه ويسعى للتأسي في كل صغيرة وكبيرة بمن يدّعي حبه، فيأخذ عملُه صبغة أخرى تماما. ولكن إذا عُدّ إظهار الحب للحبيب والاقتداء به من الإيمان، فلا يكون لدى المؤمن أمنية أكبر مِن أن يُسعد حبيبه بالإضافة إلى المحافظة على إيمانه، ويتقدم في هذا المجال رويدا رويدا. نحن جدّ سعداء إذ وفّقنا الله تعالى أن نكون من أمة سيدنا محمد ﷺ وجعلَه لنا نموذجا كاملا وأسوة حسنة في جميع الأوامر والأحكام التي نزلت عليه بصورة القرآن الكريم فجعلته عبدا كاملا.

في الآيات التي استهللت بها الخطبة توجيه أن ادّعاء المرء الإسلام لن يُعَدّ صادقا ولن يفوز بقرب الله تعالى ما لم يتأسَّ بأسوة رسول الله ﷺ، وبدون ذلك يبقى إيمانه ناقصا. والأمل في الحصول على نِعم الآخرة بغير التأسي بهذه الأسوة أمل فارغ، ولا تكون الحسنة معتَرفا بها دون التأسي بتلك الأسوة ولا تُعدّ العبادة عبادة بغيرها. وبدون التأسي بهذه الأسوة لا يمكن لذكر الله تعالى

أن يُبلّغ المرء درجة قرب الله تعالى، ولا يمكن الخلاص من الذنوب دون التأسي بهذه الأسوة ولا يمكن للمرء أن ينال نصيبا من رحيمية الله تعالى الذي تدْعونه ولا تفوزون بحبه ﷻ بغير طاعة النبي ﷺ واتباعه، لأنه هو عبد الله الحبيب.

فكما قلت آنفا: إنه لمن سعادتنا الكبيرة أننا مسلمون، ولكن لا يمكننا أن نستفيد من كوننا من أمة رسول الله ﷺ إنْ لم نسع جاهدين للتأسي بأسوته ﷺ وإن لم نعِش عاملين بتلك الأوامر وإن لم ننفذها كما أرانا النبي ﷺ بأسوته.

لقد وجّه النبي ﷺ أنظارنا إلى مضمون هذه الآية بقوله: الإمام جُنّة، أي أن أسوتي هي التي يمكن أن تُنقذكم من الشيطان وليست مساعيكم، لذا عليكم أن تحتموا وراء جُنّتي لتُنقَذوا من هجمات الشيطان. وفيما يتعلق بالعبادة، فلا تظنوا أنكم تستطيعون أن تؤدوا حقها بكسبكم الأعمال التي لم أعمل بها، ولا تزعموا أنكم ستنالون حب الله بهذه الطريقة لأن ذلك محال.

وفي هذا العصر قد منّ علينا المسيح الموعود عليه السلام، المحب الصادق للنبي ﷺ، بإرشاده وهديه لنا إلى فهم أسوة النبي ﷺ بصورة صحيحة والتأسي بها بصورة صحيحة، وأخبرنا أن بدعات عقدِ مجالس العبادة ومحافل الذكر التي راجت في هذه الأيام ليست من سنة النبي ﷺ قط، لذا لا يمكن أن تجلب للإنسان قرب الله تعالى. إذًا، لا بد للحصول على قرب الله تعالى من التأسي بأسوة النبي ﷺ.

والآن سأقدّم بعض الأمثلة من أسوة النبي ﷺ، ولكن قبل ذلك أريد أن أقدم لكم أمثلة على كيفية عبادة النبي ﷺ التي تمثّل لنا هداية كاملة، وبالعمل

عليها يمكننا أن نصبح عبادا حقيقيين لله تعالى، ومن شأنها أن تجلب لنا رضا الله تعالى وحبه. فأريد أن أقدم لكم أولا ما قاله المسيح الموعود عليه السلام عنه ﷺ، وكما بيّن لنا مكانته من حيث وجهة نظره الخاصة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٤)

يقول الله تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ و لم يقل: "قل يا عباد الله"، والسرّ في استخدام هذا الأسلوب هو أنها نزلت لكي يبشر الله تعالى برحمة لا تنتهي، ويهدِّئ روع الذين صاروا مكسوري القلوب بسبب كثرة المعاصي. فأراد الله جلّ شأنه بواسطة هذه الآية أن يقدم مثالا على أنواع رحمته ويُري العبد إلى أيّ مدى يُكرم عباده الأوفياء بإنعاماته الخاصة. *(أي يُخبر الذين قنطوا من رحمة الله بسبب ذنوبهم مدى سعة رحمة الله وكيف يُكرم الله تعالى بأفضاله)*. فوضّح سبحانه وتعالى من خلال العبارة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ أن انظُروا إلامَ وصل رسولي الحبيب، انظروا إلى عبدي المصطفى الذي بواسطة الطاعة الكاملة صار له كلّ ما كان لي. والذي يتحرّى النجاة فليكن عبدا له أي يجب أن يفنى في طاعته وكأنه عبدٌ له. عندها سيُغفر له مهما كان مذنبا من قبل. إن "العبد" يُطلَق في اللغة العربية على الرقيق أيضا، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾. ففي هذه الآية إشارة إلى أن مَن يودّ النجاة فيجب أن ينشئ مع هذا النبي علاقة العبودية أي لا يخرج عن أوامره قيد شعرة وليعدَّ نفسه منوطا بذيل طاعته شأنه في ذلك شأن الرقيق.

في هذا المقام أتأسف على هؤلاء الموحدين المزعومين والعمهين الذين يبغضون نبينا الأكرم ﷺ حتى إن الأسماء مثل "غلام نبي" و"غلام رسول" و"غلام مصطفى" و"غلام أحمد" وغلام محمد" تدخل في الشرك عندهم، بينما يتبين من هذه الآية أن هذه الأسماء هي مدار النجاة. *(أي إذا وضعتم هذه الصفات في الحسبان وأصلحتم أعمالكم وانصبغتم بصبغة هذه الأسماء يمكنكم أن تنالوا النجاة وإلا فلا. ولكن هذا لا يعني أن مجرد تسمية أحد بهذه الأسماء ستجلب له النجاة، أو إذا زعم أنه تكفيه تسميته نفسه بهذا الاسم ثم أن يفعل ما شاء وسوف ينجو حتما، فهذا الزعم لا يصح بحال من الأحوال. بل لا بد من الإمعان في الفقرة بأن المراد منها أنه يجب على الإنسان ألا يخرج من ربقة طاعة النبي ﷺ)*

يتابع حضرته عليه السلام ويقول: ما دام مفهوم العبد والعبودية يتضمن أن يتخلّى المرء عن كل نوع من التحرر والأنانية ويتّبع سيده تماما. *(أي أن العبودية الحقيقة تتحقق عندما يتخلى المرء من حريته الشخصية ورأيه الحر، ولا يأخذ القرارات عن نفسه بنفسه ولا يفعل ما يشاء برغبته الشخصية)* لذا فقد رُغِّب الباحثون – إن كانوا يريدون النجاة– في أن يُنشئوا في أنفسهم هذا المضمون. والحق أن للآية المذكورة آنفا والآية الأخرى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مفهوما واحدا، لأن كمال الاتّباع يستلزم الفناء والطاعة التامة التي يتضمنها مفهوم العبد. *(أي أن بلوغ المرء إلى أقصى درجات الاتباع ضروري للطاعة الكاملة)*. والسرّ هو أنه كما وُعد في الآية الأولى بالمغفرة، بل بُشِّر بأن الإنسان يستطيع أن يكون حبيب

الله، وكأن الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ بتعبير آخر هي: قل يا متّبعيَّ. أي يا أتباعي الذين ارتكبتم الذنوب بكثرة لا تقنطوا من رحمة الله لأن الله جلّ شأنه سيغفر لكم الذنوب كلها ببركة اتّباعكم لي. ولكن لو أُريد من "عبادي" عباد الله فقط لفسد المعنى لأنه ليس صحيحا مطلقا أن يغفر الله تعالى للمشركين والكافرين جميعا هكذا دون أن يتحقق فيهم شرط الإيمان وشرط الاتّباع. إن هذا المعنى يناقض بصراحة تامة نصوص القرآن الكريم البينة.

فكأن الآية ﴿قل يا عبادي...﴾، بتعبير آخر "قل يا متبعي"، أي يا أتباعي الذين تنغمسون في الذنوب الكثيرة؛ لا تقنطوا من رحمة الله لأن الله تعالى سيغفر جميع الذنوب ببركة اتباعي. فلو أريد من "عبادي" عباد الله بصفة عامة لفسد المعنى لأنه لا يصح أبدا أن الله سيغفر لجميع الكفار والمشركين دون تحقُّق شرط الإيمان والاتباع. أي إذا لم يكن المرء كاملا في الإيمان والاتباع فلن يغفر له، لأنه في هذه الحالة يستوي المؤمنون والكفار والمشركون، وهذا المعنى ينافي صراحة نصوصَ القرآن الكريم البينة. فهي بشارة لكل من يطيع النبي ﷺ ويتبعه على وجه الكمال، بأنه ببركة اتباعه الكامل ستُغفر ذنوبه الكبيرة أيضا.

سأعرض عليكم الآن بعض النماذج من الأسوة الحسنة للنبي ﷺ. ففي شهر رمضان كلَّ عام يخلق الله محيطا ينشأ فيه الاهتمام والالتفات إلى إحراز الحسنات والعبادة، وهذا الاهتمام قد ظهر هذا العام أيضا، فإذا كنتم تريدون أن تكونوا عباد الله وأحباءه في الحقيقة فلا بد من المداومة على التأسي بأسوة النبي ﷺ. فلا يكفي العمل مرة واحدة، إذ لم يكن عمله ﷺ وأسوته تخص

جانبا واحدا أو أمرا واحدا، و لم يكن يخص رمضانَ بل كان عمله محيطا بجميع مناحي الحياة كما قالت عائشة رضي الله عنها "كان خلقه القرآن". فحين قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن هذه الآية تُري القانطين بسبب الذنوب بريق الأمل؛ فإن هذا لن يتحقق إلا بعقد العزم على التأسي بهذه الأسوة، بل لا يكفي العزم فقط، إذ يجب العمل به والدوام عليه.

ثم يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

لا يغيبن عن البال هنا أن ملخص هذه الآية أن الذين يصبحون – يا رسول الله – أتباعا لك قلبا وروحا فسوف يوهب لهم نورُ الإيمان والحب والعشق الذي يخلِّصهم من غير الله ويتخلصون من الذنوب، وستُعطى لهم حياةٌ طيبة في هذا العالم وسيُخرَجون من القبور المظلمة الضيقة للثوائر النفسانية.

فمن أهداف رمضان ابتغاءُ مرضاة الله والإخلاص له وعبادته، فإذا كان هذا هو التخلص من غير الله فلا بد لتحقيقه من التأسي بأسوة النبي ﷺ. فقد قال حضرته عليه السلام: إن الذين يتبعونه ﷺ سيُعطَون حياة طيبة في هذا العالم نفسه، ويُخرَجون من القبور المظلمة الضيقة للثوائر النفسانية. وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في حديثه "أنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي يوم القيامة" فالمراد من حشْر الناس على قدمي المقتفون أثري.

ثم قال عليه السلام: وليكن واضحًا أنه قد كثُر في القرآن الكريم تعبير أن الدنيا كانت ميتة وأن الله تعالى أحياها من جديد ببعثة نبيه خاتم النبيين ﷺ، كما قال الله تعالى ﴿اعلموا أن الله يُحيي الأرض بعد موتها﴾ (الحديد:١٨).

وبحسب هذا التعبير قال الله تعالى عن صحابة الرسول ﷺ: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ (المجادلة:٢٣)، أي: أيّدهم الله تعالى بروح القدس. والمراد من التأييد بروح القدس أن الله تعالى يحيي القلوب، وينجي من الموت الروحاني، ويزوّد بالقوى الطيبة والحواس المقدسة والعلم الروحاني، ويوصل إلى مقام قربه من خلال العلوم اليقينية والبراهين القطعية.

ما هي النجاة من الموت الروحاني؟ المراد منها القضاءُ على الأهواء الدنيّة، وذبح النفس الأمارة، الأمرُ الذي قد حثّ عليه القرآن الكريم مرارا وتكرارا. والمراد من النجاة هو الرضا برضا الله تعالى. فالصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين- فعلوا كل هذه الأمور، فنفخ الله في قلوبهم الحياة الروحانية، وأودعهم القوى الطاهرة التي حاربوا بها الشيطان. لقد طهّر الله أفكارهم، ووهبهم علم القرآن الكريم، فوصلوا به إلى ذروة الإيمان واليقين، وتيسر لهم عين اليقين بالله تعالى. لقد رأوا مشاهد قدرة الله تعالى بأم أعينهم، ففازوا بقرب الله تعالى. لقد نالوا كل هذا ببركة اتّباعم لسيدهم ومطاعهم المصطفى ﷺ اتّباعًا كاملا، فازدادوا إدراكًا بقول الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، أي أن الذين يسعون للقائنا فلا بد أن نهديهم إلى طرق وصالنا. لقد تيسّرَ لهم ذلك كله نتيجة سعيهم للاقتداء بقدوة رسول الله ﷺ.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

وإنّ هذه العلوم التي هي مدار النجاة لا تُنال بصورة قطعية ويقينية إلا بالحياة التي ينالها الإنسان بواسطة روح القدس. ويعلن القرآن الكريم بكل قوة وشدة أن تلك الحياة الروحانية إنما تتسنّى نتيجة اتّباع رسول الله ﷺ فقط.

(أي: أن هذه العلوم المذكورة آنفًا، أي أن الأعمال الروحانية هي التي تيسّر النجاة، وتزوّد بالقوى الطيبة، وتهب الحواس المقدسة، وتمنح المعرفة المقدسة، يقول عليه السلام: هذه العلوم، التي هي مدار النجاة، لا تُنال هكذا بجهد الإنسان، وإنما تُنال من روح القدس، وقد أعلن القرآن الكريم بكل قوة أن هذه الحياة الروحانية إنما تتيسر باتّباع النبي ﷺ. علمًا أن هذه الحياة التي تنال بطاعة النبي ﷺ واتّباع خطواته حياة روحانية ليست مادية. ثم يقول عليه السلام)

أما الذين يمرقون من اتّباع هذا النبي الأكرم ﷺ فهم ميّتون ولا توجد فيهم روح الحياة. *(أي: ليست فيهم روح الحياة الروحانية. ثم قال عليه السلام:)*

والمراد من الحياة الروحانية هي قوى الإنسان العِلمية والعَملية التي تحيا بتأييد روح القدس. والثابت من القرآن الكريم أن الأحكام التي يريد اللهُ أن يثّبت الإنسانَ عليها هي ستمئة حكم، ويوجد مقابلها ستمئة جناح لجبريل عليه السلام. وما لم تأت بيضة بشرية الإنسان تحت أجنحة جبريل عاملةً بالستمئة حكمٍ هذه فلا يتولد فيها ولَدُ الفناء في الله.

(هذا مثال ضربه عليه السلام وهو يعني أنه ما لم يعمل الإنسان بالستمئة حكم هذه، لا يستطع أن يتفانى في الله تعالى، ولن يخرج من بيضة بشريته ذلك المولود الروحاني الذي ينال أقصى درجة في قرب الله تعالى، ثم يقول عليه السلام)

والحقيقة البشرية فيها كفاءة ستمئة بيضة،

(أي: أن هذا ليس شيئًا صعبًا، بل لقد أودع الله تعالى فطرةَ الإنسان هذه القوةَ، فلو أراد وسعى لتمكّنَ من العمل بهذا الأحكام البالغ عددها ستمئة. ثم يقول عليه السلام:)

فمَنْ دخلت بيضات كفاءته الستمئة تحت أجنحة جبريل الستمئة، كان إنسانا كاملا، وكان تولُّده هذا تولُّدًا كاملا، وكانت حياته حياة كاملة.

(يعني: لا يولد المرء ولادة روحانية حقيقية ولا ينال حياة روحانية حقيقية، إلا بالعمل بكل هذه الأمور، فاسعوا للعمل بهذه الأحكام الستمئة. ثم قال عليه السلام:)

ويتبين بالتأمل والتدبر أن الأولاد الروحانيين الذين وُلدوا من البيضة البشرية بواسطة روح القدس ببركة اتّباع النبي ﷺ كانوا أتمَّ وأكملَ عددا وكيفًا وصورةً ونوعًا وحالةً من أولاد الأنبياء جميعا.

(يعني عليه السلام أن الأولاد الروحانيين الذين وُلدوا باتّباع النبي ﷺ- أي تحلوا بالصفات الروحانية- كانوا أكثر عددا وأفضل كيفيةً وصورةً ونوعيةً وحالةً من الأولاد الروحانيين الذين وُلدوا ببركة الثورة التي حصلت على أيدي الأنبياء الآخرين كلهم. ثم يقول عليه السلام:)

وإليه أُشيرَ في قول الله تعالى ﴿كنتم خيرَ أمة أُخرجتْ للناس﴾ (آل عمران: ١١١)، أي أنتم أفضل أمة خُلقتْ لإصلاح البشر.

نسمع كلمة ﴿خير أمة﴾ كثيرًا في الخطب. إننا نعدُّ أنفسنا خيرَ أمة، ولكن لا بد لنا لنكون خير أمة حقًا مِن أن نسعى جاهدين لنحدث في أنفسنا الثورة الروحانية بكل أنواعها كما أُمرنا، وأن نعمل بجميع التعاليم التي أُعطيناها، التي ذكرها الرسول ﷺ وذكرها القرآن الكريم. فإذا أصلحنا أنفسنا على هذا النحو وفُزْنا بهذا المقام الروحاني، استطعنا إصلاح الآخرين أيضًا، وتكون عملية الإصلاح هذه ناجعة مثمرة. لو سعينا للتأسي بأسوة الرسول

ﷺ، وصُغْنا حياتَنا بحسب قدوته، وحاسبْنا أنفسنا دومًا، وتطورنا روحانيًا محاولين لذلك باستمرار، وفحصنا أنفسنا لنرى مدى طاعتنا لأحكام الله تعالى الواردة في القرآن الكريم في معاملاتنا، عندها فقط نستطيع إحداث الثورة في العالم، ونتمكن من تبليغ رسالة الإسلام الحقيقية في الدنيا.

لا شك أن الإنسان الآثم أيضًا يستطيع أن يكون عبدًا لله تعالى، ويمكن أن تُغفر له ذنوبه كلها، ولكن لا يتيسر ذلك إلا لمن يبذل سعيه كله للاقتداء بقدوة الرسول ﷺ.

تعالوا نر الآن الجوانب المختلفة لسيرة الرسول ﷺ وأسوته التي أمرنا الله تعالى بالتأسي بها، التي قد بيّن المسيح الموعود عليه السلام كيف وإلى أي مدى يستطيع الإنسان الاقتداء بها، والتي إذا عمل بها فاز بحب الله تعالى حتى يأخذه ربه المحبوب في أحضانه.

فأولاً نتحدث عن النماذج التي قدمها النبي ﷺ في حب الله تعالى وشكره وعبادته. كان هذا النبي العظيم ﷺ يظل طول النهار مشغولاً في النهوض بمهام الحكومة وإصلاح أتباعه وتربيتهم وهدايتهم إلى طرق تساعدهم على التقدّم الروحاني. هذا كان دأبه ﷺ في الأيام العادية، ولكن في الحالات الطارئة وأيّام الحرب كانت مشاغلهم تزداد بحيث كانت المشقة الجسدية تبلغ منه المنتهى، ومع ذلك لا نجد في عباداته بالنهار ولا في عباداته بالليل خللاً ولا فتورا. كان يقوم بالليل حتى كانت قدماه تتورمان من طول القيام في العبادة، وكان يفعل ذلك لأن الله تعالى قد أمر بقيام الليل. كانت عبادته بالليل تبلغ النصف بل

أكثر. لقد قال الله تعالى ﴿إن ناشئة الليل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً﴾، أي: لا شك أن قيام الليل أفضلُ طريقة لقتل النفس وقول الحق.

وذات مرة قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ إنك مقرب عند الله تعالى، فلماذا تتكبد كل هذا العناء والمشقة في العبادة؟ قال ﷺ: يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ أي: ما دمتُ مقربًا عند الله تعالى، وما دام الله تعالى قد تفضل علي بكل هذه الأفضال، أفليس من واجبي أن أكون عبدًا شكورًا له.

إن الشكر يكون مقابل الإحسان، فالنبي ﷺ كان يتذكر منن الله وأفضاله دومًا ويشكره عليها.

إنه لمن مِنن الله علينا أنه لم يجعلنا مسلمين فقط، بل وفّقنا لأن نقرأ سلام النبي ﷺ على غلامه الصادق (المسيح الموعود) عليه السلام. وهذه المنة وحدها عظيمة لدرجة أن أي مسلم أحمدي لا يستطيع أن يشكر الله عليها حق الشكر مهما سعى لذلك. لذا فعلى كل مسلم أحمدي أن يسعى دومًا لأداء حق عبادة الله تعالى بكل ما أوتي من قوة.

لقد اعتدنا في رمضان على النوافل وقت التهجد، فينبغي ألا يكون هذا عملاً عابرًا مؤقتًا، ولا لمقاصدنا المادية، بل يجب أن تكون معظم هذه النوافل شكرًا لله تعالى، وينبغي أن يظهر تأثير عباداتنا هذه باديًا في أقوالنا وأفعالنا. لو أردنا إصلاح العالم بِعَدِّ أنفسنا خير أمة فإن أقوالنا لن تكون ناجعة إلا إذا كنا ملتزمين بهذه الأمور.

هذا فيما يتعلق بأسوة النبي ﷺ عن النوافل والعبادة بالليل. أما فيما يتعلق بمدى التزامه ﷺ بأداء الصلوات الفرض فكان يحضر المسجد لأداء الصلاة

جماعةً حتى في المرض الشديد مستندًا إلى بعض الناس، مع أن هناك رخصة أن يصلي المرء جالسًا أو مستلقيا أو في بيته في المرض الشديد.

ومع مشقته ﷺ والتزامه في العبادة، نجده من جهة أخرى لا يحب التكلف في العبادة. فذات مرة رأى ﷺ في بيته حبلاً معلقًا، فسأل عنه، فقيل لـه إن زينب رضي الله عنها تقوم بالعبادة وعندما تصاب بالإرهاق تستند بهذا الحبل. فكَرِهَ النبي ﷺ ذلك وقال اعبدوا الله تعالى ما دامت البـشاشة فيهـا، وإذا أصابكم الإرهاق فاستريحوا واجلسوا.

كان الله تعالى قد منحه قوة عظيمة، فكان يطيل قيامه حتى تتورم قدماه، ولكنه أراد السهولة لغيره. ولكن هذه السهولة لا تعني أن يستغلّها المرء بطريق خاطئ، حيث يعتاد البعض الجلوسَ في الصلاة فـلا يـصلون إلا جالـسين. ويستيقظ البعض لصلاة الفجر، ولكنه لا يتوضأ وإنما يقوم بالتيمم جالسًا في السرير ويصلي فيه. هذا خطأ. يجب ألا تستغلّوا رخصة السهولة هكذا، لأن مثل هذه الصلاة ليست عبادة. علينا أن نبذل كل قوتنا في العبادة. على كل واحد أن يعرف مدى قدرته وقوته ويبذلها، وعندها يمكنه القول إنه يحـاول العمل بالأسوة النبوية الحسنة.

لقد رأيتم فيما ذكرتُه لكم نماذجَ النبي ﷺ في العبادات وما بلغـه مـن مستوى عال فيها، ومع ذلك نجده ﷺ يقول في مناسبة أخرى: لن يُدخل أحدًا الجنةَ عملُه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه يا رسول الله، أنت أيضًا لا تـدخل الجنـة بأعمالك، مع أنك تعبد الله تعالى بخشوع وتفانٍ طول الليـل حـتى تتـورم

قدماك؟ قال ﷺ: لن أدخل أنا أيضًا الجنة بأعمالي بل يُدخلني الله تعالى الجنة برحمته وفضله.

انظروا إلى مدى خشيته وخوفه. وكم هو مدعاة للخوف للذين يتبجحون بحسناتهم مهما كانت صغيرة. ندعو الله تعالى أن يتغمدنا برداء مغفرته وفضله ويوفقنا لأداء حق العبادة كما يجب ويوفقنا للتواضع أيضا.

لقد قال النبي ﷺ بما معناه أن عليكم أن تكسبوا الحسنات وتبحثوا عن سبل قرب الله تعالى. وقال أيضا: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ. ولكن يجب أن يكون معلوما أن العبد لا يوفَّق للتوبة إلا بفضل الله تعالى، لذا يجب أن يدعُوَ المرء للتوفيق أيضا وإلا هناك كثيرون في الدنيا يكسبون السيئات ويظلون يتوغلون فيها. فقوله ﷺ هذا موجَّه إلى المؤمنين، وكان يشير إلى الأخطاء البسيطة في قولهم بأنهم سيوفَّقون للتوبة عنها. إذًا، يحاول المرء في شهر رمضان أن يتخلص من أخطائه وسيئاته، فينبغي أن يستمر في هذا السعي ويتقدم فيه أكثر فأكثر. إذًا، فإن قول النبي ﷺ المذكور آنفا يشير إلى الذين يتوجهون إلى التوبة ويحاولون أن يتقدموا في الحسنات ويقولون إن الموت مقدَّر للجميع في كل الأحوال، فندعوك يا ربّ ألا نموت إلا وأنت راض منا. فقال النبي ﷺ بأن عدم استخدام المرء مؤهلاته وإنعامات الله تعالى النازلة عليه أيضا سوء أدب وأن استخدامها بصورة صحيحة عبادةٌ. فكسبُ الإنسان الحسنات بالجوارح التي وهبه الله تعالى إياها مثل الأذن والعين واللسان واليد والقدم أيضا عبادةٌ. إن سماع المرء كلاما حسنا يُكسبه رضا الله تعالى ولكن سماعه بالأذن نفسها غيبة

الناس والوشاية ضدهم إثم. ولكن لو سد المرء أذنه بصورة دائمة لئلا يسمع كلاما سيئا فهذا ليس استعمالها الصحيح بل يدخل في سوء الأدب. كذلك الحال عند استخدامه بقية الجوارح بما فيها اللسان واليد وغيرها.

في هذه الأيام نمر بشهر رمضان، وقد أمرنا الله تعالى أن نتسحّر ونُفطر وهذا ما عمل به النبي ﷺ وأراناه بأسوته، والذي لا يعمل بأمر الله تعالى هذا فهو يسيء الأدب ويرتكب إثما، غير أنه تكون هناك بعض حالات الاضطرار؛ فلا يتيسر للإنسان طعام الإفطار فورا أو لا يستطيع أن يتسحّر فهي استثناء. وإذا كان أحد لا يصوم مع كونه سليما معافى فهذا أيضا يدخل في سوء الأدب والذنب.

فباختصار، إن استفادة المرء من نِعم الله تعالى النازلة عليه بحسب أمر الله تعالى وبطريقة مشروعة تُعدّ حسنة وإن استخدامها بطريق غير مشروع أو في غير محلها ووقتها يصبح ذنبا. وقد أرانا رسول الله ﷺ نماذج ذلك بعمله.

كان صبره وجَلده أيضا بالغا منتهاه. ففي إحدى المرات قال له أحد الصحابة كلاما غير لائق وهو مسكَر بالخمر، وذلك قبل حرمة الخمر طبعا، ولكنه ﷺ ظل يسمع بكل هدوء دون أن يرد عليه شيئا. هذا ونجد أمثلة كثيرة على صبره وتحمّله في سوانحه بعد أن منحه الله السلطة بعد هجرته إلى المدينة واستقرت حكومته. ولكننا نرى في الدنيا أن بعض الناس عندما يقتنون بضعة مليمات أيضا يعتزون بها بما لا نظير له، أو إذ سمعوا شيئا لا تستسيغه طبيعتهم يأنفون منه بشدة، ولكن يجب أن نرى كيف كان النبي ﷺ يتصرف في مثل هذه المواقف.

ففي إحدى المرات جاءه ﷺ يهودي وجعل يحاوره ويخاطب النبي ﷺ باسمه "محمد". وقد حدث ذلك في زمن كان النبي ﷺ حاكما في المدينة وكانت الحكومة مستتبة في مناطق واسعة حولها أيضا. لم يعجب الصحابةَ ﷺ أسلوب كلام اليهودي لأنهم كانوا يخاطبونه قائلين: "يا رسول الله" دائما، أما غير المسلمين فكانوا يخاطبونه بكنيته "أبو القاسم". فمنعه الصحابة من استخدام هذا الأسلوب من الكلام مع النبي ﷺ وقالوا إن كنت لا تريد أن تقول "يا رسول الله" فقل: "يا أبا القاسم" على الأقل. قال اليهودي، لن أخاطبه إلا باسمه الذي سماه به أهله. فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي فدَعُوه يناديني بهذا الاسم.

في بعض الأحيان كان الناس يبدأون بحديث طويل معه ﷺ مما كان يشغله أحيانا عن مهامه الأخرى ويؤدي إلى ضياع وقته ولكنه ﷺ كان يسمع لهم بكل هدوء ومثابرة ويسد حاجاتهم. وفيما يتعلق بالعدل فكان يؤدي مقتضى العدل في كل الأحوال دون أن ينظر إلى فقر المجرم أو ثرائه، أو هل هو من عائلة عريقة أم شخص عادي. فقد حدث ذات مرة أن سرقت امرأة من عائلة غنية مالا، وحُكم عليها، الأمر الذي أثار القلق في بعض القبائل ولا سيما بين الذين كانوا من أقاربها وقالوا ما معناه بأنها من عائلة عريقة فيجب ألا تُعاقَب. ثم أُرسل أسامة ﷺ ليشفع لها عند رسول الله ﷺ. عندما سمع النبي ﷺ ذلك من أسامة سخط – علما أنه ﷺ كان حِلما وشفقة متجسدة وكان كلامه مع الناس مبنيا على الأخلاق الفاضلة دائما ولا يسخط قط ولكنه سخط بهذه المناسبة– وقال: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا

أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. *ولكن الإسلام لا يسمح بذلك*. وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد ارتكبت هذا الذنب لما تركتُها دون عقوبة.

ولكننا نرى في هذه الأيام أن العدل مفقود لدى المسلمين وهذا هو السبب الحقيقي لانحطاطهم، لذا يجب علينا أن نكون حذرين جدا في هذا. ينبغي على أصحاب المناصب في الجماعة أن يؤدوا مقتضيات العدل دائما وبكل معنى الكلمة وإلا سيؤدي ذلك إلى أخطار فادحة ويسبّب الانحطاط والدمار. لقد أمرنا القرآن الكريم أن نعدل مع العدو أيضا وقد ضرب النبي ﷺ مثلا أعلى في هذا المجال. لقد أرسل النبي ﷺ بعض الصحابة إلى مكان ما إلى ناحية مكة لتفقّد الأحوال، وعندما دخلوا حدود الحرم قابلوا بعض الناس الذين كانوا يعرفونهم فخطر ببالهم بأنهم قد يخبرون أهل مكة بمقدمهم فهاجمهم الصحابة وقتلوا أحدهم. وعندما وصلوا إلى المدينة تابعهم وفد من أهل مكة يشكونهم بأنهم قتلوا شخصا في حدود الحرم. كان يمكن أن يقول لهم هل نسيتم ما قتلتم أنتم في حدود الحرم وهل نسيتم الجرائم التي ارتكبتموها؟ لكنه ﷺ فكّر أن من المحتمل أن المقتولين لم يقاوموا الصحابةَ ظنا منهم بأنهم سيلجأون إلى الحرم، وفكر أن أصحابه ربما اعتدوا عليهم، فوافق على أن يدفع الدية لهم، فدفع الدية لهم بحسب العادة السائدة في المجتمع العربي. فهذه هي معايير الإنصاف التي أقامها ذلك المنصف الأعظم ﷺ في كل مكان.

الآن لاحظوا قمة احترامه لمشاعر الآخرين، إذ قد اشتكى إليه أحد اليهود أن أبا بكر الصديق جرح مشاعره بقوله "والله لقد فضَّل الله محمدا رسول الله

ﷺ على موسى عليه السلام"، والحقيقة أن النبي ﷺ أفضل من جميع الأنبياء والقرآنُ الكريم يشهد على ذلك، لكنه ﷺ دعا أبا بكر وسأله عن القصة، فأخبره أن ذلك اليهودي قد بدأه بالقول: "أقسم بموسى الذي فضَّله الله على العالم كله." لكن رسول الله ﷺ قال: مع ذلك كان ينبغي أن لا تقول له ذلك، عليكم أن تحترموا مشاعر الآخرين.

فهكذا كان يحترم مشاعر الآخرين. ثم كيف كان يحترم من يخدمون الناس فقد ورد في الروايات أنه حين قاتل أفرادُ قبيلة طيٍّ المسلمينَ وأُسر عدد منهم وكانت منهم ابنة حاتم المشهور بكرمه، علم بذلك رسول الله ﷺ فأحسن إليها ثم بشفاعتها أطلق سراح الآخرين من قبيلتها، فهذا أيضا من المعاملة المحترمة للمحسن إلى الإنسانية تجاه مَن كانوا يخدمون الناس.

ثم نلاحظ كيف أقام شرف النساء واحترامهن؛ كان العرب بحسب العادات السائدة عندهم يضربون النساء لكنه ﷺ قال: إن النساء إماء الله ولسن إماءكم. ثم حين سأله أحد الصحابة عن حقوق الزوجات قال ﷺ: أطعموهن ما رزقكم الله وألبسوهن مما هيأ الله لكم من الألبسة، ولا تلطموهن ولا تشتموهن ولا تُخرجوهن من البيت.

فمثل هذه الأحداث تظهر في العصر الراهن أيضا إذ ترفع الشكاوى من هذا القبيل. يجب أن يتأمل أمثال هؤلاء في تصرفهم، إذ يدّعون حب الله ﷻ ويعصون أوامره في الوقت نفسه.

لقد قال النبي ﷺ: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي. كان النبي ﷺ كما قلت سابقا جمّ المشاغل المتعلقة بشئون الحكومة والتربية، كما كان

مع انصرافه إلى التربية يساهم في إنجاز شئون البيت وتأدية مسئولياته على أحسن وجه. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كلما كان في البيت انشغل في مساعدة أهل البيت وخدمتهم، فلم تكن مسئولياته الأخرى تمنعه من إنجاز شئون البيت، فكان يرقع ثيابه بيده، ويحلب الشياه، وإذا جاء إلى البيت متأخرا تناول الطعام بنفسه، و لم يكن يوقظ أهل بيته.

فهذه هي الأسوة الحسنة للذين يظنون أنهم لو أنجزوا بعض شئون البيت لارتكبوا ذنبا، فإذا جاؤوا إلى البيت متأخرين فمن واجب الزوجة أن تنهض وتقدِّم لهم الطعام الساخن، ويظنون أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فسوف يفقدون السيطرة والهيبة، وأمثال هؤلاء لا يهدأون ما لم يصرخوا على الزوجات. فبعض الناس في الخارج تصل عنهم الشكاوى أنهم خارج البيت ينشطون في أعمال الجماعة وتكون معاملتهم رائعة لكنهم في البيت يمارسون على الزوجات اعتداءات حين يسمع عنها الإنسان يصاب بدهشة كبيرة عن التفاوت الكبير بين معاملة الإنسان في الخارج عنها في داخل البيت، فهو ذو وجهين. ثم هناك أناس يُفسدهم أقاربُهم، من الأخوات والأمهات، فإذا أعدَّ أحدُهم الشاي للضيف يقال عنه إنه صار خادم الزوجة، أو يقولون ما الذي يحدث؟ مَن هذه الزوجة التي تشغِّل أخانا أو ابننا في شئون البيت، فأخونا أو ابننا مسكين فهو يقوم بالأعمال المترلية! فهكذا يَخرب دماغ الأزواج والشباب، فيبدأون بالاعتداء على الزوجات، مع أن الحقيقة أنهم ليسوا مساكين في الحقيقة إذ هم يحسِّنون عاقبتهم ويكسبون الثواب بالعمل بأسوة النبي ﷺ، ويسعون ليكونوا عبادا حقيقيين لله، وإنما سيصبحون مساكين عندما

يتعرضون لبطش الله تعالى نتيجة اعتدائهم على الزوجات، حين يُسألون أهذه هي الأخلاق السامية التي اكتسبتموها بعد الادّعاء بالإيمان؟ فمن ناحية يدعون الإيمان ومن ناحية يُبدون هذه الأخلاق؟ فأمثال هؤلاء الرجال أيضا يجب أن يقلقوا.

الآن نلاحظ ما هي أسوة النبي ﷺ في حب الأطفال والشفقة عليهم، فقد ورد في رواية أنه كان يدعو لأولاده والأولاد الذين كانوا يسكنون معه: يا ربي أنا أحبهم فأَحِبَّهم أنت أيضا، فلم يضرب الأولاد قط بل ربّاهم بالحب والدعاء على الدوام. فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ بِأَوَّلِ الثَّمَرَةِ ... يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِن الْوِلْدَانِ" (سنن الدارمي, كتاب الأطعمة)

ونجد في الروايات ذكْر لَعبه مع الأولاد. فمعلوم أن أغلبية الآباء يحبون أولادهم لكن هناك آباء يضربون الأولاد دونما سبب، فقبل بضعة أيام زارني شاب، فقال لي أثناء اللقاء: أنا يلازمني الخوف والرعب دوما وصرت مريضَ الخوف، لأن والدي كان دائما يضربني، وحين سأله أحد لماذا يضرب الأولاد دونما سبب؟ قال: هو ضروري لفرض السيطرة على الأولاد، فبعض الآباء يعامِلون الأولاد على هذا النحو أيضا، فهناك آباء ظالمون أيضا. بل نلاحظ هنا في هذا المجتمع وقد كثرت الأخبار أن هناك أناسا يقتلون أولادهم من أجل إشباع أهواء النفس، ثم هناك أناس يحبون أولادهم ولا يتحملون رؤية أولاد آخرين، ولا يحبونهم، بينما النبي ﷺ كان يحب كلَّ طفل ويلاطفه.

إذا كان القرآن الكريم قد أَمر بالإحسان إلى الجيران فقد أقام أرفع معاييره أيضا وأوصى المؤمنين به مرارا وتكرارا بذلك. فذات يوم كان حضرته ﷺ جالسا في مجلسه فقال وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَوَائِقُهُ قَالَ شَرُّهُ. (مسند أحمد)

لقد ذكرتُ لكم بعض الأمور، وإننا نجد أسوته ﷺ ونصيحته تشمل كل الجوانب؛ في الإحسان إلى الأقارب والتعاون المتبادل ومقابلة السيئة بالحسنة، واجتناب التجسس، وحسن الظن وأي خُلق سام آخر. فكان ﷺ عبدا كاملا قد أحدث انقلابا في أهل ذلك العصر بتسجيل أسوة كاملة في كل مجال فجعلهم ربانيين. فاليوم أيضا إذا كنا نريد الاستفادة من هذه البركات التي قدرت للمنضمين إلى أمته ونريد أن نؤدي حق السعي لنكون عبادا كمّلا فلا بد من التأسي بهذه الأسوة، لنتمكن من نيل أفضال الله وتحسين دنيانا وعقبانا. لذا ركِّزوا على الدعاء اليوم أيضا وفي اليومين المتبقيين من رمضان أيضا لأنه شهر إجابة الدعاء، ثم داوِموا عليه طول الحياة أن يجعلنا الله ﷻ مؤمنين حقيقيين ويوفقنا للتأسي بأسوة النبي ﷺ.

وفي الأخير أعرض عليكم مرة أخرى بعض المقتبسات من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول: "لقد أمر الله المسلمين بأن يتأسوا بأسوة النبي ﷺ ويتبعوه في كل قول وفعل كما قال ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢)، ثم قال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فلو لم تكن أفعالُ النبي ﷺ وأقوالُه خاليةً من العيب فلماذا فرض علينا اتباعه؟

ثم يقول حضرته عليه السلام: لا يستطيع المرء أن يخلق في نفسه حب الله الكامل ما لم يأخذ التوجيه والإرشاد من أخلاق النبي ﷺ وأسوته، فقد قال الله ﷻ نفسه في هذا الخصوص ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي إن اكتساب حب الله يحتّم اتباعا صادقا لرسول الله ﷺ، والاتباعُ الحقيقي هو التخلق بأخلاقه ﷺ، وذلك لا يتأتى نتيجة السعي الشخصي بل يتوقف على فضْل الله. فهو ﷻ لا يُبطل أبدا سنته التي سنها للحصول على فضله، وتلك السنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ و﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٦). فالإسلام وحده دين يجدر بالاتباع، والإسلام كل قولٍ وفعل للنبي ﷺ. وفَّقنا الله ﷻ لإدراك هذه الحقيقة وودَّعنا رمضانُ هذا بعد تمكيننا من الإدراك الصحيح لهذا الأمر، ووفقنا لقطع الأشواط الجديدة متأسين بهذه الأسوة إلى رمضان القادم. آمين